# ديوان إفادة الطالبين لمحمد بلو عرض وتوصيف

**د.محمد عمر موسى**

**محاضر بقسم اللغة العربية**

**جامعة عثمان بن فودي، صكتو - نيجيريا**

**توطئة**

والحديث عن ديوان إفادة الطالبين لمحمد بل حديث عن أحد المخطوطات النيجيرية ذات أهمية كبرى لطلاب العلم والباحثين.

إن المخطوطات العربية النيجيرية بشكل عام وبشكل خاص عبارة عن تراث ضخم خلفه أجدادنا في هذه البلاد للأجيال المتعاقبة ليستفيدوا منها في مجال العلوم الإسلامية والعربية. إن هذه الجهود الجبارة المبذولة من قبل أولئك الجهابذة تستحق الشكر الوفير والثناء الجميل وجزيل العرفان وذلك عن طريق إبرازها والبحث فيها وتحقيقها ليستفيد منها أجيال الغد أكثر مما استفاد منها أجيال الأمس واليوم.

مازالت جهود الباحثين متوالية تجاه هذه المخطوطات، إلا أن هناك حاجة ماسة لتضعيف الجهود في ممارسة هذه المخطوطات، وقد وصف الأستاذ سمبو هذه المخطوطات قائلا:

"كانت اللغة العربية في بعض الدول أمثال مملكة برنو والدولة العثمانية بصكتو هي اللغة الرسمية، وكان الشعب في الدولتين حريصا عليها لأنها وسيلة إلى فهم الدين الإسلامي مع كونها أيضا وسيلة إلى التفاهم مع المسلمين العرب وغيرهم. فبوجود هذه الدول وجد كذلك كتب ألفها العلماء في الدين وفي نواحي الحياة المتنوعة. ومن هذا المنطلق وجد ما يسميه المتخصصون بالمخطوط. [1]"

ويقول ثيط:

ورغم أن كثيرا من الباحثين والدارسين في الجامعات والكليات العليا والمعاهد العليا اهتموا ببعض هذا التراث حتى رأى النور منه عدد كبير ومع ذلك فهناك الكثير من هذا التراث الصخم ينتظر من ينفض غباره وينزح غموضه ويخرجه من ثوبه القديم إلى ثوبه الجديد ومن زوايا الإهمال في

[1] سمبو ولي جنيد اليرو فيسور، المخطوط النيجيري بالضاد ومحاولة تحقيقه، ورقة قدمها في ورشة عمل داخلية لتدريس المترجمين والمحققين.15-8-2007م

المكتبات إلى زوايا الاستعمال في المعاهد العلمية والجامعات والكليات الحديثة وإيقاظه من رقدته الطويلة التي مانفك عنها، بتحقيق علمي رصين ودراسة عميقة مستفيضة.[1]

وإلى مثل هذا يدعوا البروفيسور سمبو جنيد قائلا:

وما زالت الدهاليز وديار العلماء ومكتبات الجامعات قديمها وحديثها مكتظة بهذه المخطوطات في ملاييننها وهي تنتظر من ينفض لها الغبار لتخرج من الصناديق والقماطر الجلدية وتنجو من طغيان البلى والسيل والحريق والأرضة وغيرها من ذوات العدوان، وهذا إذاهتمت الحكومات والجامعات والأثرياء بطباعتها أو وضعها بعد التحقيق العلمي في أماكن أمنية كالجهازات الإلكترونية مثل الإنترنت.[2]

**التعريف بالشاعر محمد بلو:**

هو محمد بن عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد غُورْطُ جَبُّ بن محمد سمبو بن أيوب بن ماسران بن أيوب باب بن موسى جُكُلُ، وجده هو محمد الملقب بفودي، معناه في اللغة الفلانية، الفقيه ويلقب ببلو معناه المعين والمساعد لقبه به أبوه ويكنى أبا محمد وأبا علي[3].

**نسبه:**

وينتسب محمد بلو إلى حي توردب الذين جاءوا من فُوتَ... وهم أخوال جميع الفلانيين، ولغة الفلانيين لغتهم لأن عقبة بن عامر المجاهد الذي فتح بلاد الغرب زمن عمروبن العاص في مصر وصل إليهم وهم قبيلة من قبائل الروم فأسلم ملكهم من غير قتال.[4]

**مولده ونشأته:**

ولد محمد بلو بوم الأربعاء، شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية الشريفة الموافق1779 من الميلاد في بيت يحيطه العلم والمعرفة، تحت رعاية والده مشتغلا با العلوم المنقولة حتى صار مرجعا للعلوم الدينية والإنسانية وتولى خلافة والده بعد وفاة الشيخ عثمان رضي الله عنه في سنة ألف وثمانية وسبع عشر ميلادية 1817 كأمير المؤمنين ووسع الدولة الصكتية وأثبتها[5].

**تعلمه:**

---

[1] ثيط يحيى فاروق، تحقيق وشرح مروى الصدى في علم الصرف، للشيخ محمد بن صللح الفلاتي ص:12– 13

[22] سمبو ولي جنيد، المرجع السابق ص:2

[3] البركوي، عبدالله محمد آدم (الدكتور) تحقيق وشرح نظم العوامل النحوية لمحمد المنشور بمساعدة محمد حيضو، ص:33

[4] ابن فودي، عبد الله (علامة السودان) تزيين الورقات بجمع مالي من الأبيات تحقيق عمر محمد بوي دون مطبعة ولاتاريخ ص: 61

[5] ياغول ، أبوبكر أبوبكرالبروفيسور، المديح لدى أمير المؤمنين محمد بلو ص:29

قد يكون الحديث عن تعلم هذا العبقري الفذ طويلا لكن بكل اختصار إن محمدا بلو قد درس على والده إضافة إلى تلقينه القرآن عنه والتفسير وأصول الدين والحديث الشريف وغير ذلك. وكذلك قرأ على عمه الشيخ عبد الله بن فودي كتبا عدة منها:

- ألفية بن مالك في النحو
- لاميةالأفعال لابن مالك وشرحها الجامع بين اللغة والصرف
- تلخيص المفتاح للقزويني
- الجوهر المكنون اللأخصري
- إضاعة الدجنة للمقري
- الكوكب الساطع للإمام السيوطي

ثم أخذ يتتبع علماء عصره ويتخصص منهم في فنون اللغة والدين حتى أصبح ذا ثقافات متعددة تستمد من المصادر الآتية:

- القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب التفسير واللغة والأدب ودواوين الشعر وبخاصة دواوين الشعراء الجاهليين وكتب الطب[1].

**مؤلفاته:**

قد أبرز أمير المؤمنين محمد بلو مقدرة علمية فائقة في نفسه في ميادين مختلفة من العلوم والمعارف. كتب في الفقه والفرائض والحديث واللغة والمنطق والتاريخ والطب والفلك والنصائح ,وقرض الشعر وحرر الرسائل باللغات الثلاثة العربية والفلانية والهوسوية وكتب بها رسائل وقرض بها أيضا أشعارا.[2]

خلف أمير المؤمنين تراثا ضخما يبلغ حوالي مائة وثلاثين مؤلفا مازال بعضها مخطوطة إلى يومنا هذا. وفي هذا يقول الدكتور علي أبوبكر: ألف محمد بلو أيضا كوالده وعمه عدة كتب ومقالات ولكنها أقرب شبها إلى مؤلفات والده منها إلى مؤلفات عمه. وذلك لأنها تتناول في الغالب الأمور الدينية من عبادات ومعاملات وتصرف غير أنه يمتاز عن والده بولعه الكبير بالتاريخ.[3]

منها:

- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور .

---

[1] البكوي، المرجع السابق,41

[2] المرجع نفسه.ص:42

[3] الثقافة العربية في نيجيريا من:175-196 عام الإستقلال, دار الأمة الطبعة الثانية 2014

- كف الإخوان عن اتباع خطوات الشيطان
- شفاء الأسقام في ذكر مدار الأحكام
- الغيث الوبل في سيرة الإمام العدل
- البدور المسفرة في الخصال التي تدرك بها المغفرة
- رفع الشبهة في التشبه با الكفرة والظلمة.
- رفع الإشتباه في التعلق بالله وبأهل الله
- سرد الكلام فيما وقع بيني وبين عبد السلام
- تنبيه أهل الفهم على وجوب اجتناب أهل الشعوذة والنجوم
- القول المنعوت في النفقة والقسم في المبيت
- نصح كاف لأمراض شاف
- نظم العوامل النحوية
- جلاء الصمم في مرض الأقوال والأفعال والهمم
- مفتاح السداد في أقسام أهل البلاد

–تنبيه الرائد على ما يعتور الحاج من المفاسد

–وله مقالة لخصها من كتاب المواهب اللدنية

–تخميس القصيدة للإمام البوصيري المشهورة بالبردة في مدح رسول الله.

–وله مجموعة من قصائد رائعة في أغراض مختلفة جمعها الوزير جنيد وسماها ديوان إفادة الطالبين لمحمد بلو. وهو موضوع هذه المقالة.

**مميزات محمد بلو العلمية والفكرية:**

كان الشاعر متميزا ومتضلعا با العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وما إلى ذلك كما كان متفوقا بالعلوم الدينية والشرعية كما كان له إلمام بالتاريخ والأدب والسياسات والإدارة والأديان والطب وأصوله والصيدلة وأنواعها.[1]

ومن مميزاته مايلي:

–سعة الاطلاع على مؤلفات القدامى ومعاصريه حتى عدها في بعض الليالي فوجدها عشرين ألفا وثلاثمائة كتاب[2].

ولوسع ثقافته والمشاركة في شتى المعارف وصفه الباحثون والعلماء بالنباهة.[1]

---

[1] أبوبكر محمود غمي ,قاضي قضاة نيجيريا سابقا, حياة أمير المؤمنين محمد بلو, راجع إنفاق الميسورص: 21

[2] اليركوي، المرجع السابق ص:43

–إنه ألف كتبا في الفقه والفرائض والحديث واللغة والفلك، وحرر الرسائل.

–أوتي من الذكاء والبصيرة والفهم والعقل والفطنة والحفظ والإدرادك التام وقوة الحافظة وشدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ وسعة البلاغة مالم يؤت غيره من أقرانه فأدرك في يسير من الزمان مالم يدركه غيره في الأحقاب المتطاولة. الملكة الشعرية والموهبة النثرية مما سهل له التأليف والرد على رسائل الآخرين من علماء عصره بالحجج الدامغة. وخير شاهد على ذلك كتابه بعنوان: سرد الكلام فيما وقع بيني وبين عبد السلام. ورسالته التي كتبها إلى الحاج الأمين الكانمي البرناوي.

**وفاته:**

توفي رضي الله عنه عشية الخميس لخمس ليال بقين من رجب في ورن حيث كان مرابطا. وكان آخر كلامه في الدنيا لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال ذلك ثلاث مرات, ثم قرأ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون، رضي الله عنه وذلك سنة ثلاث وخمسين ومأتين بعد ألف من الهجرة النبوية 1253 وعمره ثمان وخمسون سنة إلا شهرا.[2]

**عرض مخطوط إفادة الطالبين:**

أما موضوع هذه المقالة فهو عرض وتوصيف هذا الديوان لأمير المؤمنين محمد بلو فالديوان عبارة عن قصائد الشاعر التقطها المرحوم الوزير جنيد من مراجع مختلفة وجمعها في هذا الديوان وسماها:إفادة الطالبين، يبلغ عدد أبياتها حوالي ثمانمائة وثمانية وعشرين بيتا، كما تحتوي على ثمان وثلاثين قصيدة... تناول الشاعر فيها أغراضا شعرية مختلفة في مناسبات وظروف متباينة، فيها وصف الغزوات وفيها المدائح والمراثي والتوسلات والأهاجي والغزل الصوفي والفخر والحماسة ونظم الأوابد وشعر الحكم والأمثال.[3]

إن هذا الديوان يحمل في طياته قصائد رائعة تصور الرقي العلمي والأدبي في عصر الشاعر، كما تصور الأحداث التاريخية المتعلقة بما جرى بين أنصار دعوة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية وبين الأعداء المعادين الطغاة الذين حاربوا أهل الإيمان المصلحين. والمخطوط بلا شك سجل تاريخي للتحديات اللتي واجهتها الدولة الإسلامية الصكتية.كما أنه خير نموذج للشعر العربي في القرن التاسع عشر، وقديما قال العرب الشعر ديوان العرب.

**من مقدمة الوزير جنيد فيما يتعلق بجمع الديوان:**

---

[1] المرجع نفسه ص:42

[2] الوزير جنيد الدكتور، ضبط الملتقطات من الأخبار المتفرقة في المؤلفات تحقيق غزالي بلو ص:165

[33] درما كنو، محمد الثاني خامس. إفادة الطالبين لأمير المؤمنين محد بلو... مسخ عام وتقويم

**تقديم**

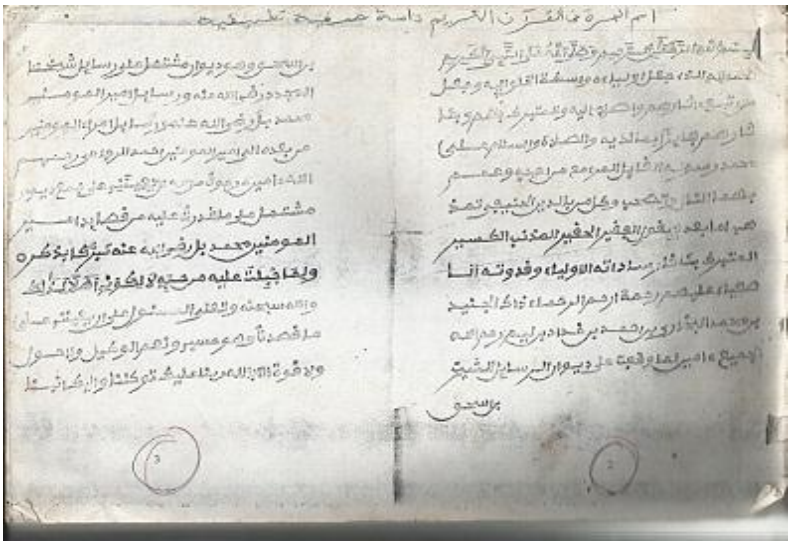

**المخطوط**

**المخطوط على مستوى الشكل:**

عدد الأوراق:44

المسطرة: 29

الخط سوداني عريض واضح

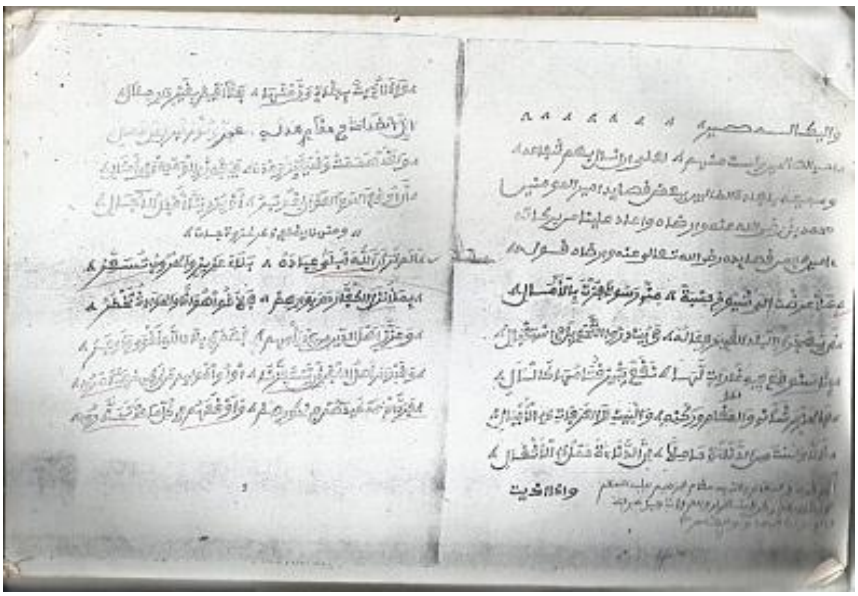

وهذه إحدى قصائد الشاعر يحث فيها المسلمين على الهجرة من بلاد الكفار إلى بلاد المسلمين ويندد الشاعر بشجاعته والقيم الأخلاقية التي يتصف بها من الحزم وإنجاز الوعد والنفس الأبية التي تأبى الذل والهوان وتكره نقض الميثاق.

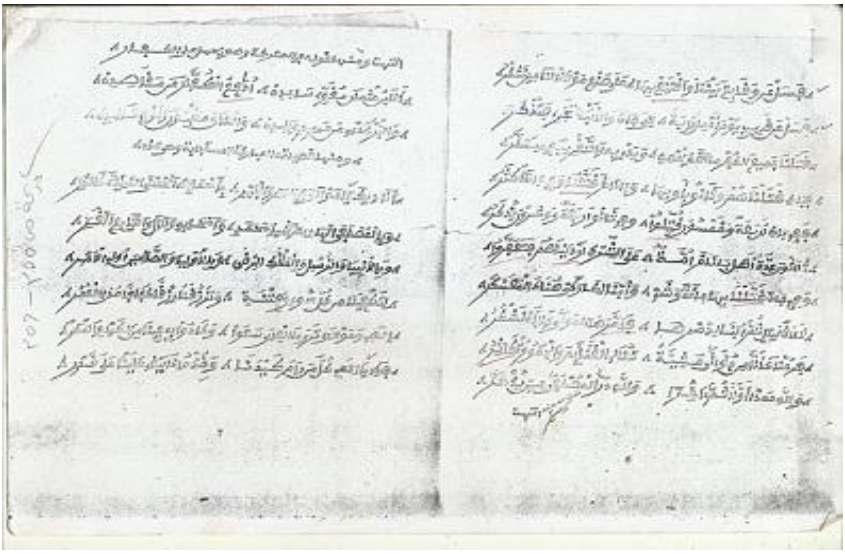

وهذه قصيدة يصف فيها إحدى غزواته التي جرت بين جيش المسلمين المنتصر وجيش الأعداء الكفار المنهزم ويصور رشق السهام والرماح بين الفئتين حين التقى الجمعان.

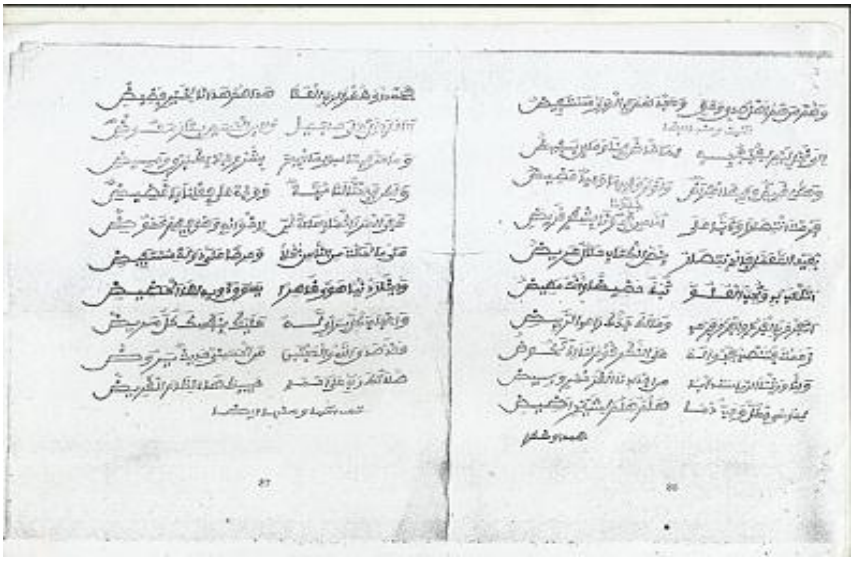

المخطوط موجود بدار الوثائق التاريخية صكتو نيجيريا.

الأغراض الشعرية في الديوان:

و قد تناول الشاعر في هذا الديوان الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي الجاهلي والإسلامي. من وصف ومدح ورثاء وتوسل وهجاء وغزل صوفي وفخر وحماسة ونظم الأوابد وشعر الحكم والأمثال.

وإليك نماذج لبعض الأغراض الشعرية على النحو التالي:

ومن أجود قصائد الديوان وصفه للحرب في قصيدة جات الثانية يسرد فيها الحوادث التي مر المسلمون بها ويصفها وصفا دقيقا وفيها يقول:

ألم تر أن الله أبلى عباده *** بلاءا عزيزا والحروب تسعر
فسل عن قريب يوم أحمل راية *** إلى جات والأنباء تجري فتذكر
قتلنا جموع الكفر ما الله يحصيه *** ويدريه والتقريب فيه مسطر
ثلاث ليال ثم أبنا لدمرها *** فدمرها المولى وإياه نشكر [1]

ومن أجود قصائده في المدائح النبوية بائية مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم التي يقول فيها:

إليكم فقلبي همه بمحصب *** وإن كان جثماني تخلف في كب

إلى قوله:

هو المصطفى منهم هو المنتقى الذي *** سرى وسما حتى علا كل منقب
هو المجتبى من آل عدنان كلهم *** هو الأطيب المختار من كل طيب
هو الرحمة المهداة للخلق كلهم *** ونور هدى للمهتدي المترقب[2]

ومن شعره في الحكم والأمثال قوله:

أبعد الشباب زمان بهي *** وبعد الهجام حيا وحيي
كأن الشباب رداء علي *** فألقيته وأتاني عتي
وعاد خيالا وطيفا وصبحا *** تولى وجاء المشيب العشي

إلى قوله:

من ازداد سنا ولم يكتسب *** ولم يتكبر فذاك السري
ومن نال علما ولم يتظاهر *** به ويجادل فذاك الرضي
ملكت الأمور وقلبتها *** كأني عليها قديما ولي

---

[1] محمد بلو، إفادة الطالبين المخطوط ص:5

[2] المرجع نفسه ص: 56– 58

ومن أجود شعره في النصح والإرشاد قوله:

ومن ملك النفس عما تريد *** واتبعها الحق فهو القوي
ومتبعها في هواها زمانا *** ولم ينهها عن هواها ردي
وإن القناعة رشد كبير *** وصاحبها الدهر خل غني
ومن راقب الله في أمره *** وجاهد فيه فذاك التقي

ومن شعره في الفخر على رجل يسمى نجل ليم لإسائته الظن بالأمير محمد بلو وبجماعته:

إلى نجل ليم لفجفجه *** لما خاض فينا وما إن يفيض
وهذي قريض وفيها اعتراض*** ولوم وفيها وعيد عضيض
أتلعب بي وتحب العلو *** ثبت حضيضا وأنت مهيض
وإنا ورثنا الرياسة دأبا *** من أجدادنا الغر حمر وبيض
لموسى جُكُلٌ وجَبٌ معا *** هلم هلم لشيخ أضيض
فحمدا وشكرا لرب العلا ***هداهم هدانا لخير فضيض

ومن أجود قصائده في الهجاء بائيته التي هجا فيها كفار غرس وهددهم وخوفهم وأوعدهم بالدمار والخراب وفيها يقول:

أصحبي بلغوا عني الجوابا *** إلى العزال قولا مستطابا
بأني لا زال إلى المعالي *** أرقي لست من أهوى ربابا

إلى قوله:

فأبلغ زدي مع هود يهود يهودي *** توقع وارتقب مني سبابا
ومغزائي مبات إلى مكدا *** فأوقع في بلادكم الخرابا
بجند يملأ الأركان طرا *** ويكسو السهل والحزن النشابا
ولا تثقوا بأهل غرس فإني *** رأيتهم سباعا أوذيابا
ولو وزنت شيوخ غرس جميعا*** على الميزان مما وزنو ذبابا[1]

ومن شعره في الإعتذار ما راسله محمد الأمين الكانمي حيث اتهم الشاعر بآثارة الفتن بين الفلانيين وجماعة الكانمي فقال :

ألا من مبلغ عني الأمينا *** رسالة ناصح بيد الأمينا
تعلم أننا ممارمينا *** به برآء فأوف العذر فينا
وإنا ما تغلبنا عليهم *** علوا أوفسادا قاصدينا

[1] محمد يلو المرجع السابق ص: 86-87

ولكن أخرجونا اعتداءا *** وبغيا صاح قمنا دافعينا
تبين أمرنا هذا أخانا *** وفتشه ولا تعمل علينا
فدع عنك الركون إلى الأعادي*** ونصر الظالمين الفاخرينا
تعلم إنهم أهل اعتداء *** ووال أخا الصلاح المؤمنينا
وخاللهم وظاهرهم عليهم*** فإن الله مخزي الكافرينا

هذه نماذج لأشعار محمد بلو في هذا الديوان. ويبدو أن الشاعر حاول أن يستوعب معظم الأغراض الشعرية السائدة في عصره كما يبدو أن معظمها دينية. فإنه لم يتغزل بالنساء ولم يمدح للتكسب كما أنه لم يهج ولم يفتخر إلا للدين ورفعته. كل هذا يشير إلى العصر الذي عاش فيه والبيئة التي نشأفيها وتأثر بها.

**أسلوب الشاعر:**

إن أسلوب الشاعر أسلوب سهل ممتنع، يدرك مما سبق أن الشاعر لا يتكلف في استعمال ألفاظ جزلة كما يتجنب استعمال ألفاظ حوشية وقد تغلب هذا على معظم أشعاره كما تتصف بالبساطة والوضوح وهذا ما هيمن على معظم قصائد الديوان. لكن الشاعر أحيانا في محاولته لإبراز ذخيرته اللغوية وجعل الألفاظ في متناول طلبة العلم يميل إلى استعمال ألفاظ جزلة وقوية، كما استعمل أحيانا ألفاظا حوشية وغريبةز ومن أمثلة استعمال الشاعر ألفاظا جزلة وقوية ة ما نشهده في الأبيات التالية:

إلى نجل ليم لفجفجه *** لما خاض فينا وما إن يفيض
وهذي قريض وفيها اعتراض *** ولوم وفيها وعيد عضيض
أتلعب بي وتحب العلو *** ثبت حضيضا وأنت مهيض
وإنا ورثنا الرياسة دأبا *** من أجدادنا الغر حمر وبيض
لموسى جُكُلٌ وجَبٌ معا *** هلم هلم لشيخ أضيض

ونموذج آخر في استعمال الشاعر ألفاظا تتصف بالحوشية والغرابة ألففاظ وردت في كافيته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

يا راكبا حملا جميلا بعَكَّا *** حي الحبيب وصله مني مألكا
خبره أني في أسارى حبه *** والقلب مني في سواه تجكجكا
فهدى الجميع بمحكمات كتابه *** وأسنة إذ ليس رأسا حفلكا
جمع المحاسن من علاها كلها *** قمص الكمات عن الوغى فاستفتكا
قد فر يطلب ربه في غاره *** فأتاه جبرائيل ثم تتكنكا
فأفاده بالعلم ثم أقره *** بالدين لم يك قبل ذلك ألفكا

يامن ثوى في بطن طيبة كن لنا *** أنت الشفيع فلا تكون الحبركا

بك نرتجي بنجاتنا يوم اللقا *** يوما يسير كل تبر درمكا

وألفاظ تبرك بالمكان بمعنى أقام بهن وتتكنك بمعنى أصلح العمل الإلفك بمعنى الأعسر الأحمق بينما الحبرك بمعنى القوم الهلكى والدرمك بمعنى التراب الناعم كلها تتصف بالغرابة.

ومن ذلك قوله:

خرمشت نفسك ما خمشت مقصدها*** أحششتني فغلى الحب قد دغشا

رأيت شعرك قد خربشت مقصدها *** تلومنى بعد نفسي عقله دهشا

منعت أن تعتريها دخبش دعر *** حتى تشرفت البيضاء ما جهشا

وما لنا حين مروا مانع لهم *** ولاجريش ولا رجل لهم حكشا

وألفاظ: خرمش بمعنى أفسد وكذلك خمش وخربش تتصف بالغرابة، وكذلك دخبش بمعنى رجل عظيم البطن. وكذلك ما على شاكلتها من الألفاظ الواردة في الأبيات

ولعل السر في استخدام الشاعر لهذه الألفاظ يرجع إلى ما يراه بعض النقاد من أن ذلك يرجع إلى قدرة الشاعر في اختيار ألفاظ غريبة لندرتها ورونقها ولئلا يستعمل ألفاظا سوقية ألفه عوام الناس في ظروفهم اليومية، ولا يعني أن تظل على الحوشية والغرابة وهي التي تغرق في مضائق الفهم بعيدة عن الأنس معتمدة على القواميس في كشفها، بل إن القصد هو أن تجمع الألفاظ بين السهولة الممتنعة والصعوبة الممتعة، فألفاظ الديوان إذا تختلف فحولة وسهولة باختلاف موضوع كل قصيدة ولتباين الظروف والمناسبات التي قيلت فيها ... أو إن الألفاظ جاءت لتغدو سجلا تاريخيا عن المرحلة الأولى التي أفرغها علماء المنطقة في جمع المختارات من الألفاظ الصعبة عبر المعاجم التي يمتلكونها سدا لما يحتاجون إليه من المفردات النادرة إما لتربية الملكة أو لإفحام الخصم أو مجارات الند أو إظهار المقدرة. [1]

**الخاتمة:**

وبهذا القدر اليسير يصل الباحث إلى نهاية هذه المقالة. ويبدو أن الباحث بكل تواضع حاول أن يعرض هذا الديوان ويصفه للقراء. تحدث فيه الباحث عن أهمية البحث في المخطوطات العربية ليستفيد بها القراء كما تناول التعريف بالشاعر من حيث النسب والمولد والتعلم والتعليم والتأليف والمميزات العلمية والفكرية. ثم عرض الديوان ومحتوياته وحاول أن يذكر بعض النماذج لقصائد الديوان وأغراضها المختلفة. وبالتالي ختم المقالة بالحديث عن أسلوب الشاعر ممثلا ببعض أشعاره.

[1] أغاكا عبد الباقي شعيب البروفيسور، أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، ص:115